صنعت لحبي حكاية

عبير فاروق "بيروو"

المقدمة.

حلمتُ ذات يومٍ بأميرٍ وسيم بجواد أبيض له جناحان أخذني وطاف بين الجنان تبسمت فأشرقت شمسي وازدهر طوق الياسمين فوق رأسي صحوت ومذاق التفاح بحلقي فابتسمت، و همهمتُ بداخلي بماذا حلمت؟

ردَّدتُ بهمس((صنعت معجزة تمناها الجميع وأنا من حظيت بها)

في منتصف ليلة حالكة الظلام، أطرقت رأسي بشرود بعد دخولي حجرة مكتبي الصغيرة، كانت الغرفة خالية، تنهش عيناي سقفها، بينما قبضة يدي الباردة تعتصر قلبي بألم يصفعه آلاف المرات،

انطلقت من أعماق صدري زفرة مشتعلة، قبل أن ألقي بجسدي على مقعدي، و من ثَمَّ أمسكت بدفتري أدون فيه لعل لهيبي ينطفئ وأطلق لذاكرتي العنان، فسرت بين طيات أوراقه...

تظاهر أنك بخير دائماً، مهما كان انهيارك من الداخل، فالكتمان أجمل من أن تتسول حب أحدهم. (إمضاء/أحمد)

•أغلقت دفتري اليوم على تلك العبارة بكسرة قلب يدمع، بعد يوم شاق بالجامعة ظللت أتذكر أسوأ يوم بحياتي منذ البداية؛ عندما استيقظ من نومه متأخر عن أول محاضرة له، ركض بأقصى سرعة لديه وللأسف لم يلحق بها أسرع، حتى يتمكن من المحاضرة التالية؛ وكانت بقسم التشريح طرق الباب، ثم اذن له دكتور المادة بالدخول، وبخه قليلاً على تأخره، ولكن سمح له بالدخول عوض عن أنه يجتهد بدراسته.. والآن بعد عناء ثلاث محاضرات متتاليه يجلس بالكافتيريا ينقل المحاضرة التي فاتته من زميله المقرب

"باسم" أول محاضرة فاتته جلس بجانبه بيده زجاجة مياه محدثة..

- اهدأ يا صديقي، واجلس، لم يحدث شيء إذا ضاعت عليك محاضرة.

رد علي دون أن يرفع أنظاره من ما يدونه فقال بحده:

- لا سوف يحدث الكثير، أنا تركت أهلي، واعمل ليلاً، وادرس نهاراً؛ حتى اتخرج ويطلق علي الجميع لقب الطبيب" أحمد القاسم"

رد صديقه بتهكم:

- ولماذا تأخرت اليوم أيها الطبيب؟

- دكتور "عزت" صاحب الصيدلية، قرر أمس إننا نقوم بجرد الأدوية،

ترجيته يأجلها ليوم الخميس لكنه رفض بشدة، وصمم على قراره، وانتهينا الساعة الثالثة فجرًا، توجهت إلى منزلي متعبًا للغاية.

أجابه متذمرًا

- عجباً لهذا الرجل..! ماذا يريد منك؟

كل يوم له قصة مختلفة، وحكاية بكل شكل، يفكر في تعطيلك بأي وسيلة، اذكر انه طلب منك مرة حسابات، أدوية ناقصة، واليوم جرد.

كان الله في عونك يا صديقي.

- لا تحزن من أجلي، فهذا هو حال من يطلب الرزق، فهو ليس بالساهل.

"قالها بمرارة وحزن"

- لست أدري ما أقول لك، أنت الذي تنقم على النعمة، حين يأتي والدك لزيارتك، يقدم لك المظروف وبه مبلغاً من المال، وانت كعادتك ترفض أن تاخذه.

- لأني امتلك مبدأ وأسلوب حياة؛ لابد أن أعتمد على نفسي، لقد تحمل والدي الكثير من أجل تربيتي، حتى وصلت لهذا السن، فكفي عليه تحمل كل هذا،

فليس من العقل ان استغله لأنه أصبح في منصب عمدة، استنزافه في المال، فأنا امتلك دم في عروقي ياصديقي العزيز ولست مستغلا، ولابد من الكفاح في الحياة.

"باسم" ينظر من خلف صديقه فترتسم ابتسامة شريرة على ثغره:

- انظر يا ملك الأحاسيس، يا صاحب بنك الدم، متى ستتحدث وتبوح؟؟

نظر له "أحمد" باستفهام:

- ماذا تقصد؟!

- أنظر خلفك، وأنت تفهم مقصدي.

التفت للخلف، فتسارعت دقات قلبه الهاوية، و لمعت عيناه بعشقٍ أبكم، تجولت نظراته مع خطوات اقدامها، مرت بجانبه وألقت تحية الإسلام، ثم اتجهت لمكان زملائهم، رد عليها بهزة رأس وابتسامة تتسع إلى خلف أذنيه ظل "باسم" يحدثه وهو شارد الذهن في من خطفت قلبه وعقله من يومها الأول جديدة انتقلت إليهم من محافظة أخرى، التحقت بهم بالسنة الثانية، بينما كان هو في الثالثة بالكلية.

ولكن تفوقي خدمني كثيراً فقد كنت معروفاً على مستوى الدفعات، فكان من

بالسنة الأولى والثانية يستعين بي كي أشرح لهم ما فاتهم من أي محاضرة، وكان يوم حظي عندما استعانت بي هي وبعض زملائها يوما ما ومنذ تلك اللحظة تعرفت عليها عن قرب..

"هي وحيدة أبويها، وأنهما من رجال التعليم وكرسا حياتهما لها، فربياها على الثقة واحترام الآخرين وحب الناس".

وتعاملت معها كزميلة، فأعجبت بطيبة قلبها ورقة حديثها، افتراضها الخير في الجميع إلى أن يثبت العكس، لذلك وجدت نفسي بعد عدة شهور مشغولاً بل هائما بها، فأكاد أتصفح الوجوه بَحثًا عنها ولكني لم أجرؤ عن الإفصاح بمشاعري تجاهها،

اسمها" أميرة" وهي كأميرة طلت من مدن الأحلام، وظلت بين جدران قلبي..

ومرت سنوات الدراسة؛ وهي بالنسبة لي كالطيف الحالم يخطر في خيالي؛ فيرطب من هجير الحياة، ويجمل الدنيا ويخفف عني متاعبها.

ورغم ارتياحها للحديث معي لم أتصور استطاعتي الارتباط بها، فكتمت مشاعري في قلبي، وواصلت طريقي تاركا للأيام أن تقضي في أمري!

انتبه على فرقعة أصبع زميله "باسم":

- أين ذهبت؟

تجنبت النظر إليه كي لا تبوح عيناي بمكنون قلبي رداً:

- أين سأذهب؟ أنا هنا بجانبك.

استمر الوضع بي أخطف نظراتي من حين للأخر إليها؛ حتى سمعت هتاف من الجانب التي تقف به انتبهت أنا و"باسم" لما يحدث وهذا الصوت انعدمت رؤيتها تماماً من كثرة الحشد؛ دب بقلبي وخزة، أسرعت إليها مندفعاً بين الملتفين حولها، حتى هَدئ نبض قلبي أن رأيتها تبتسم والجميع يهنئها... وبماذا يهنئها؟!

حينها أدركت أنها تم عقد قرانها على مهندس شاب مستقر مادياً، وشعرت حينها بتوقف عقارب الزمان بعقلي مؤازرة لقلبي حينما توقف عن النبض،

لم أستطع تحمل ما تطرق لسمعي، هربت من الجميع، وأولهم من نفسي؛

عادة الإنسان يهرب من ماضيه إذا كان تعيساً، ويسدل ستائر النسيان ويحاول أن يستمر بحياة جديدة، لكنني فعلت العكس تماما، فطويت قلبي بصدري على أحزاني.....

عدت من ذكرياتي؛ على مرار علقم بحلقي لا أستطيع ابتلاعه، نظرت للسماء أدعو الله أن يلهمني الصبر، وتحمل ما بداخلي من آلام، توضأت وصليت ركعتين، ثم غفيت وأنا أتقلب على نيران قلبي المحترق، طويت صفحتها في وتيني، وركزت جهدي في دراستي ودخلت الامتحان واجتزته بنجاح.

بدأت سنة التدريب، فالتقيت بها في الكلية، وهنا تهاوت دقات قلبي فكدت افقده، وضعت يدي عليه كي أسانده، والتقت عينانا بنظرة ضعف وخذلان لقلبي مني، و إشراقة وتبسم منها اقتربت وهنأتها بقلب كسير على عقد القران، ثم خطر لي فجأة أن أسألها بصوت خفيض، ولسان معقود، طرحت سؤالي:

- آسف على فضولي، هل كان من الممكن تقبلي ترتبطين بزميل ليكي في بداية طريقه، أمامه مشواره طويل؟!

انتظرت بترقب ردها، توقعت إنها تفضل أن ترتبط بشخص ناضج أكبر منها سناً ومستعد للزواج بغير انتظار، وتمنيت من أعماقي أن تجيبني بأنها لم تكن تقبل خطبة زميل ومشواره طويل، ربما لأجد لنفسي مبررا لإحجامي وترددي، لكنها أجابتني ببساطة صدمتني..

- ولما لأ..! لم أعتقد أن هناك ما يمنع ان ابدأ مع شريك حياتي من الصفر،

ونكبر سوياً، ونبذل جهدنا في بناء مستقبلنا ؛ والدليل على ذلك ارتباط العديد من أصدقائنا بقصة حب.

أحسست بالحسرة تلسعني، وأخفيت مشاعري المنحورة، وكأن العالم لم يعدّ يبتسم، كل شيء أصبح باهتاً، وتمنيت لها السعادة وانصرفت.

ومرت علي أيام أقدس فيها الصمت عن كل شيء، وتنعدم رغبتي بالكلام او بالعتاب،وارضي بكل شيء حتى ولو كان سيئاً.

استشعر ذهني سؤال... من أُعاتب ومن يتحمل الخطأ قلبي أم عقلي؟!

وتوالت أيامي على هذا المنوال ولم أراها خلالها، وأغرقت نفسي خلالها في العمل لأتشاغل عن طيفها الملائكي الذي يعايشني، كل ليل أتذكر ردها وأطرق رأسي بأقرب جدار على غباء عشقي المتردد.

كنتُ أمُر بطرقات المستشفي الجامعي، أثناء نبطشية كالعادة، حتى سمعت نداء بالميكروفون يستدعي استشاري الجراحة بحالة طارئة، فهرولت وكل ما يشغل عقلي أني أقف بجانب الاستشاري، واكتسب منه خبراته العديدة، وعند وصولي تفاجأت برؤية المريض أو بالأحرى المريضة فانقطعت أنفاسي حينما وجدتها ملقاة أمامي، فهالني رؤية شحوب وجهها الملائكي

وجسدها النحيل تبدل ملامحها المتألمة ومنظر الشرشف الذي تحول لونه من الأبيض الناصع للون الدماء الأحمر، صوت أنينها العالي أصابني بالجنون

فشعرت بتخبط بكل كياني، فأنا لم يسبق وأن ذُقْتُ مرارة بحلقي كما اليوم، فلقد شعرت بقلبي ينشطر عن باقي أعضاء جسدي، ولم أفق من توهتي و تخبُطِي إلا على يد الممرضة تطلب مني أن أفسح لها الطريق.

بأخذها إلى غرفة العمليات في الحال، استأذنت الطبيب بفحص أوراقها وجدتها محاولة لإصابتها بالتهاب الزائدة الدودية، ولم أسترح لهذا التشخيص؛ لأن ما كانت تشكو منه من ألم كان يتكرر في موعد ثابت كل شهر، وتم إعدادها للجراحة، تماسكت.. انتظرت بغرفة التعقيم أنظر عبر نافذة زجاجية صغيرة أطل عليها بعجز تام، لكن عند رؤيتي توقف الطبيب أثناء العملية وخروجه سألته بلهفة محرقة أجابني باقتضاب ومصطلحات علمية تفيد؛ إنها مصابة بورم حوصلي بالمبيض هو الذي يسبب لها هذه الآلام المتكررة، وكان لابد من استكشاف المبيض ثم استئصاله.

اكتمل تمزيق قلبي المنحور بسماعي لهذا، و حَمِلْتُ هم إعلامها وماذا ستكون ردة فعلها حينها؟ أو ماذا سيحدث لها؟، فمؤكد حالتها ستكون سيئة جدا ولربما تنهار من هول الصدمة لذلك ستحتاج لرفيق درب يشد أزرها و يعاونها على

تحمل هذا العبء و أنا سأ....

بترتُ كلماتي وتذكرت أن لها من يؤازرها، وأني ليس لي مكان بينهما، وحينما لمحت الطبيب وهو يخبر أبويها بحقيقة حالتها هرولت مسرعاً حتى توقفت خلفه، بكت الأم بشدة وكسرة على ابنتها الوحيدة لكن الأب كان أكثر تماسكًا بالدين فظل يردد (اللهم أجرني في مصيبتي هذه)وكان معهما هذا المتغطرس المسمى خطيبها، ووالدته صاحبة رأس الطاووس لا أعلم لماذا أراها هكذا..! ولكنها تشبهه كثيراً والآخر يضع يد بجيب بنطاله الرمادي، واليد الأخرى يرفعها على فمه يزفر دخان سجارته، هذا الغبي لم يرى تلك اللافتة على يساره (ممنوع التدخين).

كنت أراقب الموقف بقلق، ولا يعلم أحد أنها زميلتي أو أني على معرفة بها، رأيت الخطيب ووالدته ينحصرا بزاوية ما بعيدة عن أبويها، هاجمني الفضول واقتربت منهما فسمعت الأم تتحدث بحدة ونظرة لوم وعتاب:

- أرأيت ماذا حدث! تأكد الآن أن قلبي كان غير راضياً عنها، طلبت منك تتزوج ابنة اختي، لكنك رفضت بشدة، واردت تتزوج دكتورة، وكررت حديث ممل عن التفاهم وغيره، ماذا ستفعل الآن وأنت علمت بأنها لا تصلح بأن تنجب لك اطفالا...

(أكملت بدموع زائفة)

- أنا كبرت، وأريد أن أحمل وأولادك، ويملئون على المنزل، ويكون ليك وريثاً، يحمل اسمك واسم عائلتك..

رد بنبرة مترددة مهزوزة:

- ماذا أفعل الآن؟ أنا لم أطلع على الغيب!

- عليك أن تفر من هذه الزيجة، وترحل في صمت، وكل الذي يربطك بها ورقة، ومن الغد سوف ازوجك ابنة أختي تنجب لك البنين والاناث.

أحسست بألم حاد في صدري، وتمنيت رغم آلامي أن يتمسك بها؛ حتى لا يطعنها هذه الطعنة القاتلة، وهي في ضعفها، وأنا في انتظار الرد؟ رأيت بعض الممرضات تهرول لوالديها أسرعت إليهم؛ فعلمت إنها بالداخل بدأت جراحتها وبدأ معها جرح أخر بقلبي، وتحتاج إلى دماء كثيرة، هرولت لذلك المتغطرس أشد يده مسرعاً كي يتبرع لها أغفلت حين سحب يده بعنف من يدي، يتسائل بنظرات لم أفهمها وهو يحجم عن التبرع لها بالدم، حينها وصلني الرد أنه قد حزم أمره سريعا.

التغابي أسلوب قاتل أكثر من الغباء، بل هو مرض عضال إن استخدمه

الحمقى فلا لوم أو عتاب عليهم وهو كذلك.

لم أنتظر وجدت نفسي بدون إرادة أتقدم لكي أتبرع لها بدمي ولو أرادت نبض قلبي لأعطيتها عن طيب خاطر.

وتم إجراء الجراحة واستئصال المبيض الأيمن بسلام، التقت أنفاسي عند مغادرتها غرفة العمليات، وانتقلت لغرفة أخرى.

عندما أفاقت "أميرة" من المخدر، فتحت عينيها بإرهاق تبحث في وجوه المحيطين بها عن وجه ذلك الذي عقد قرانها، ولكنها لم تجده بجانبها، سألت عنه والدتها...

أين هو؟وماذا كان رد فعله عند علمه بمرضي؟

فرت منها دمعه فأجابت باقتضاب:

- من تركك ورحل، اتركيه ولا تسألين عنه، ولا تفكرين لحظة فيه.

حينها شعرت بالصاعقة تجتاحها، والظلام يسودها، كانت طعنته غائره، كيف له أن يتركها وهي في أمس الحاجة إليه؟، تركها دون أن يمد لها يد العون، لم تعلم أنها اختارت قلبًا قاسياً بهذا الشكل.

ظلت صامتة، دموعها هي من تتحدث عما تشعر به ألم نفسي أشد قسوة من

جراحتها.

تمكنت الأم من إخراج صوتها المنقطع..

- حبيبتي اهدئي، لو كان خيراً لكِ، كان الله عز وجل زرع محبتك في قلبه، وما تركك في هذه الظروف، لكنه ظهر على حقيقته، أنسان أناني، وحقير، لا يستحق البكاء عليه، حمدا لله على كل شيء.

أغمضت عيني بقلبٍ يصرخ صرخه يمزق بها ضلوعي، ويصرخ بها إحساسي فما مررت به صعب على قلبي، فمن المؤلم أن تكون أضعف مما يتوقعون وظنك بالآخرين أقذر مما تتوقع انت، مؤلمة تلك الدمعة التي تسقط وأنت صامت تسقط من شدة القهر والالم والإحتياج، فأصبح من الصعب أن تجبر نفسك على تجاهل شخص كان يعني لك العالم بأكمله، وكانت عيون الواقفين بجانبها عاجزة عن تطيب هذا الألم، لكنها ستجد من يطيب جراحها يجفف هذه الدموع.

بينما يقف هو مكتوف الأيدي ود لو يستطيع أن يخبأها بين ضلوعه يُخفيها عن العالم أجمع، تذكر حينها ألم لم يريد لها تذوقه، كم مؤلم أن تنهار من الداخل، وتبقى روحاً لا تشعر،، وتظل رغم الحزن تبتسم للجميع.

ولازمتها في الغرفة بعد الجراحة ليل نهار، وأشرفت على راحتها وتنفيذ

تعليمات طبيبها ورعايتها، تحت أنظار والديها اكتسبت ثقتهم وعند إبلاغي لهم أنني كنت زميل ابنتهم بالكلية، وعلى معرفة طيبة بها أحسوا بالاطمئنان تجاهي، أما عن المتغطرس ووالدته رأس الطاووس لم أراهم قط، انصرفا في صمت لا يعلمه الأبوين!

ومضت الأيام وبدأت تسترد أميرتي صحتها ونضارتها شيئا فشيئا، وعند علمها بفسخ خطبتها، وإرسال عقد طلاقها، ظللت بجانبها حتى تسترد ثقتها بنفسها وبالحياة.

وأنارت لي الحياة مرة أخرى استمتع عند دخولي غرفتها والجلوس بجانبها، واحمرار وجنتيها؛ أرى بذور عشقي لها تنمو بداخلها، أتعمق بالحديث في أي شيء أيا كان لتجنب خجلها مني، فبدأت أشجعها على معاودة الدراسة لكي تؤدى امتحان السنة الأخيرة، واستجابت لتشجيعي بحماس، وبدأت المذاكرة وهي مازالت في المستشفي، كنت استغل هذا وأدرس لها كل المواد حتى أظل بجانبها أطول وقت ممكن، أهملت مرضاي وتدريبي لأجلها،أرى سعادة أبويها في عينهم لمساعدتي لها، وجاءت لحظة الفراق بخروجها من المشفي.

عرضت عليهم إيصالهم للمنزل فأصر الأبوان على دعوتي لفنجان من

القهوة، لذلك قبلت دعوتهم بترحاب جم شاكرا كرمهم الزائد فهم لا يعلمون أنني اتشوق لهذا الفنجان منذ زمن بعيداً، ظل الأبوان يذكرونني بالخير، ويحفظان لي وقوفي إلى جانبها خلال الجراحة وبعدها، لكن ما أحزن قلبي أنني لن أستطيع رؤيتها كل صباح وأن أغمض عيني على بسمتها في الليل.

وخلال فترة امتحاناتها؛ تحججت أكثر من مرة لزيارة منزلها لإحضار بعض الملازم، ونماذج الامتحان، ثم بعدها لم أجد أي سبب مقنع لزيارتهم فانقطعت عن رؤيتها، ومضت ثلاثة أشهر على كالدهر فالوقت في بُعْدها يمضي ببطء رهيب ؛ يحمل اشتياقي وعشقي المغمور لها، وحينما بدأ اختبارها كُنتُ أنتظر على أحر من الجمر نتيجة اختبارها، حمدت الله شاكراً فضله لاجتيازها هذه السنة بتفوق؛ سعدت كثيراً و تمنيت أن أركض إليها ببشرى نجاحها بامتياز، وأخفيها داخل قفصي الصدري، وأغمض عيناي بعد ذلك.

فوجدت اللحظة مناسبة لتحقيق حلم حياتي، أسرعت إلى منزلها، وحين وجدت نفسي أطرق الباب بلهفة سابقت دقات قلبي المسموعة أملا في رؤيتها، و بينما أنا غارق في لُجَة مشاعري تجاهها فإذا بالباب يُفتح ويظهر من خلفه والدها الذي رحب بي بحرارة متسائلاً عن سبب انقطاعي عن زيارتهم بعدما اعتادوا زيارتي لهم.

لذلك حينما عُدت لزيارتهم أخذ يسألني عن السبب الذي دفعني من جديد.

فتنحنحت قليلاً لعلي أستجمع باحثًا عن أية كلمات أرددها

- عمي سامحني في توتري الزائد، فأنا لست أعلم كيف ابدأ حديثي معك، لكن من المؤكد إنك لاحظت إهتمامي بكريمتك "أميرة" ويشرفني بأني اتقدم واطلب الزواج منها، لتشاركني مشوار حياتي...

في بَدء الأمر لم أستطع تفسير وجهه سعيد ام بائس ولكن انتابني خوف شديد من كلمة رفض تقف على أعتاب شفتيه.

لمحت طيف تبسمه رداً:

- أنت إنسان على خُلق، ورجلاً يعتمد عليه، يكفي وقوفك بجانبها وقت المستشفي.

أكمل بعينين لامعة تهدد بالانهمار:

- لا تظن إني لم أشاهد هذا الحب في عيناك، ومدى خوفك ولهفتك عليها، كان ظاهر لنا جميعاً مثل الشمس، لكن هل سألت نفسك، هل تستطيع أن تستمر الحياة بينكما بدون إنجاب طفل يحمل أسمك؟

اعلم يا بني، بأن زهرة حبك التي آراها الآن في عيناك، سوف يأتي اليوم

وتذبل وتموت؛ وحينها ستموت ابنتي بالحياة!!

اندفع بالرد مدافعاً عن عشق أهلكه الدهر:

- لم أكذب عليك، واسرد في عشقي أشعاراً، لكن يكفي أنك تعرف أني حلمت بهذه اللحظة سنوات كثيرة، بأني اتقدم للزواج من أميرتي، فهي بالنسبه لي نجماً في السماء عالياً؛

كم حلمت به وناجيته في كل ليلة، وتمنيها تشاركني حياتي، وعلى أتم الإستعداد أن أضحي بعمري في سبيل تحقيقه

رد الأب مبتسماً:

- أنا لا أمانع، وارحب بشدة، لكن الموافقة النهائية في يد ابنتي.

اتسعت ابتسامتي بموافقته وترحابه بنسبي، ووعدني أنه سيعرض عليها طلبي ويجيبني في أسرع وقت.

هممت بالوقوف باتجاه الباب، لكن توقفت فجأة ضارب رأسي بيدي مرددا تهنئته على نجاحها، واعتذرت على نسيان ذلك في بادئ الأمر، تبسم الأب بسعادة، ثم ودعني يستمهلني بعض الوقت لكي يستشيرها، وأبلغ أنا أسرتي برغبتي، أسرعت إلى بلدتي على الفور لمصارحتهم، وطلبي حضورهم

لخطبتها، ولكن أخفيت عنهم سراً مرحلة مرضها، وعدم قدرتها على الإنجاب؛ خوفاً من رد فعل مماثل كوالدة خطيبها السابق، لا أستطيع فقدانها مره أخرى حتى لو على حساب خسارتي لطفل يكون عون لي في الكبر هي بالنسبة لي كل شيء العون، والسند، وطفلتي المدللة، أميرتي الحسناء؛ لن أخسرها مجدداً لأي ظرف كان..

رحب والدي بذلك، وأقرت أمي إنها ترغب بتزويجي من فترة وعاتبتني برفضي الدائم أكملت بروح الدعابة:

- أتمنى أن آرى من سرقت قلبك، وجعلتك لا تستمع لحديث والدتك، سوف اقوم بدوري تجاهها وأكون لها حما وفرض سيطرتي الكاملة عليها.

تعالت ضحكات الجميع كل فرد من عائلتي ألقى بكلمة، وأكملت يومي وأنا مصدر إضحاك الجميع.

كنتُ أنتظر ردها بفارغ الصبر وقلبي يتراقص على أنغام لحن عشقي المفقود الذي تخيلت آلاف المرات الصراخ به أمامها.

أضاءت شاشة هاتفي برسالة تحمل أسمها (أميرتي) أنار وجهي عندما التقطه مستبشراً قبولها، لكن إنتابني شعور مخيف بعض كلمات تشعرك بالموت البطئ بعدها..

"أنا آسفة على ما أنت عليه، وعلى ما نبدو عليه، وعلى هذه المسافة بيننا، فقد تلاقينا في زمن ليس زمانا، وحكم علينا بـ الوداع"

نهضت من مجلسي واقفاً مفزوعاً مما قرأت، أسود وجهي فجأة، وقبضت عضلاته، علمت حينها كيف تفقد أنفاسك وأنت حياً تُرزق، حيث استنفذ كل طاقتي، قذفت هاتفي بغضب شديد امتلكني، كيف تقول ذلك؟ ولماذا تحكم على حبي المزدهر بالإعدام حياً؟

لا لن اتخلى عنك أميرتي، فلن أكرر خطأ الماضي، واتخلى عنك كما فعلت من قبل، لن أقف مكتوف الأيدي مرة أخري؛ وأقص عليك حكاية حبي المبعثرة، وعذاب السنوات الماضية، وعلى الفور قررت الذهاب إليها حتى أعلم سبب رفضها، وعزمت أن تكون لي ولا يوجد خيار آخر، كنت اصارع الوقت والمسافات التي تعوق الوصول إليها، وبداخلي أسئلة عديدة وإجابة يتخيلها عقلي المعذب، لا أعلم كيف مر الوقت علي، وكيف وصلت إليها؟

وها أنا الآن أطرق بابها وانتظر أن يفتح معه أمل جديد، ولكن فتحت هي حينها رأيت وشاح الحزن يكسو عينيها ويعلن العزاء ودفن قلبي شهيد، شعرت بوخزة داخل فؤادي، والصمت سيد اللقاء، طال الوقت وكل منا ينظر للآخر والحروف سجينه بداخلنا، رافضه الانطلاق والبوح، قطعته حين

همست قائلة بنبره مبحوحه:

- لماذا جئت يا أحمد؟ ماذا تريد مني؟، أرجوك أتركني، وأكمل طريقك.

اقتربت منها وعيوني تبث لها من العتاب قائلا:

- هل أنتي حقاً تتدركين بماذا تسألين يا أميرة؟!

كيف يصور لك عقلك وتتخيلين أنني يمكن التخلى عنك بهذه السهولة!!

- لماذا تتنازل عن حقك في الزواج من امرأة تنجب لك صغاراً تسعد بهم؟

أنا أصبحت غير صالحه لك او لغيرك،

أرجوك أتركني، وانصرف بعيداً ولا تقترب مني؟

- كلا لن اتنازل عنك يا أميرة، أنا....

قاطعتي بألم متسائلة:

- لماذا ترغب في الزواج مني؟!

لن اقبل منك أي شفقة أو إحسان،

لماذا أنت متقبل فكرة الزواج من إنسانة مثلي..؟!

نظرت لها مذهولا من تفكيرها العقيم، وقفت أمامها، وتلاقت الأعين في حديث طويل مردد بكل الصدق من داخل قلبي:

- من الاستحالة إنك لم تشاهدين الحب الذي يكنه قلبي لكِ كل هذه السنوات الماضيه... الم تلاحظي نظرات الهيام داخل مقلتي.... هل يعقل أن صراخ قلبي حين ينادي بحروف أسمك الغاليه لم تسمعيه!

هل تعلمي سيدتي وأميرتي أن أسعد لحظات حياتي كانت حين التقي بك، واستذكر معكي دروسك..!

اتعلمي أن خوفي، وترددي كانت السبب الرئيسي في خسارتي في الماضي..! لكن اليوم لن أسمح بأن أفقدك او اخسرك مرة ثانيه.

أنا اعترف لك بحبي، بل بعشقي، يامن احببتها منذ سنوات، ولا أريد امرأة سواها، أنا أكتفيت بك، اكررها لك للمرة الأخيرة لا أريد سوى أميرتي فقط.

أما ما تخشيه لا أفكر به على الإطلاق،

والانجاب بيد الرب، لا بيد العبد، وهو زرق يهبه لمن يشاء، دعي توكلك عليه، وارضي بما قسمه لنا حبيبتي، فيقول سبحانه وتعالى..

(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)

- توقعي بأني في يوم حدث لي حادث اليم، وأصابني عاهة تعرقل حركتي، وتمنعني من ممارسة حياتي بشكل طبيعي، ونحن في بداية حياتنا، هل ستتركيني وتتخلين عني؟!

ردت باندفاع وسرعة:

- كلا مستحيل.

تبسمت حينها وضمت يداي وجهها البرئ قائلا بكل حب:

- وأنا ايضاً لا أستطيع أن أتركك، وأتخلى عنك، لقد صبرت كثيراً علي آمل أن تحقق هذه اللحظه وتتلاقى أرواحنا من جديد، ونحيا سوياً ايامنا القادمه في هناء وسرور، لا تتعجلي حبيبتي الأيام، فاقدارنا يعلمها الله اتركي ماتفكرين به لرب العالمين يدبر أمرنا.

- لكن..!

- كفي يا أميرتي، لقد انتهي الحديث، أنا اخترتك وأحببتك، وقد حسمت

قراري.

- أخشى أن يأتي اليوم الذي تندم عليه، وتتلهف بأن تنجب أطفالا.

- نعم سأندم حبيبتي....! لو فقدتك سوف يكون هذا أشد ندم، واحيا عمري بأكمله نادماً أني سمحت لك بأن تفارقي وتبتعدين عن أحضاني، هذا هو الشيء الوحيد الذي يجعلني أندم، ويجعلني ايضاً ابكي عليك الباقي من عمري، ثقي يا أميرتي؛ بأن قلبي يعشقك ولا يريد سواكِ.

تبسمت أميرتي الغاليه، فأشرقت الشمس من مشرق عيناها، فسعد قلبي بحبها الذي أضاء عتمة عذاب سنواتي الماضية.

وقامت الأسرتان بالتعارف، وتمت الخطبة وأنا أرى أنني قد استعدت طريقي الصحيح في الحياة.

وازدهرت الحياة بألوانها البراقة، بعد تشبعي من لونيها الأسود والرمادي، كل شيء تغير حتى طعم الماء بحلقي؛ مثل الحلوى أنارت شمس أمل جديد؛ بعد فقدانه، وبدأت سنة التدريب، وبدأت أنا المرحلة الأولى من الماجستير، وما زادني قربى منها إلا عشقً وافتتان بها وبروحها وأخلاقها الملائكية، ولم أدهش كثيراً لخلوها من المرارة تجاه أحد؛ حتى تجاه من تخلوا عنها، وجرحوا كرامتها بلا ذنب جنته، فقلبها فيما يبدو لم يخلق للحقد قط على أحد،

بل تذكر دائماً كل البشر بالخير حتى بعد سماعها خبر زواج خطيبها الأول من ابنة خالته، وأنه قد نفذ نصيحة أمه؛ لكي تنجب له وريثاً يرث أطيان أمه، لم تحزن وتمنت لهم السعادة، كم أنتي ملاك من جنة لن يستحق عشقها غيري، ومضى الوقت بين الدراسة والعمل وتجهيز منزل الزوجية.

وبعد انتهاء أميرتي من سنة التدريب واجتيازي الجزء الأول من الماجستير أقمنا الأفراح، تزوجنا في حفل كبير جمع الأهل والأصدقاء، واستقرت أميرتي الحسناء منزل أحلامي، وبدأت الحياة تغرد أنغام الحب والسعادة، وتعزف سيمفونية عشقي المتيم بها، ستظل أميرتي وأنا معشوقها.

مضت خمس سنوات من زواجنا، وحصلت أميرتي على دبلوم النساء والتوليد، ومع الوقت وممارستها للعمل كطبيبة زاد اشتياقها وتمنيها للأمومة، وبعد إلحاح منها كثيراً توجهنا سوياً لطبيب متخصص للكشف وعمل حقن مجهري، رغبت هي بخوض التجربة، لم أنكر برغم إني أتمنى الإنجاب من محبوبتي، لكني كنت أشفق عليها من خوض التجربة مراراً وتكراراً لم تيأس قط، وقالت لي بدموع لامعة في عينيها:

- رجاءاً حبيبي الموافقة على طلبي، أنا سوف أتحمل كل المعاناة في سبيل تحقيق حلمي الذي يراودني، لعل الله يتم علينا سعادتنا سوياً، ويرزقنا يزيد

من الرباط المقدس بيننا.

- عجباً أميرتي الغالية..! من الذي أبلغك بأن سعادتي لم تكتمل بعد؟!

أنا ذكرت لك من قبل بأن فؤادي اكتفي بك، لماذا لا تتأكدي وتثقي في مدى حبي لك؟ الم أقل لكِ بأني لا أريد من هذه الدنيا غيرك؟!

ردتُ عليها بتذمر طفيف مشفق عليها، عاودت النظر إلى بترجي وقلب يتوسل إرضاءه:

- أعلم جيداً ما تقوله، لكن أتمنى من كل قلبي في طفل من زوجي الحبيب، وآمل ذلك من رب العالمين، أنت وقفت بجواري كثيراً، وأريد منك يا زوجي الحبيب تكمل مسيرتك معي، وتحقق لي ما اتمناه، رجاءاً وليس أمراً، لا تيأس من محاولاتي المتكررة.

تنهدت بيأس من زوال الفكرة وإصرارها عليها:

- اتفقنا يا زوجتي الغاليه، والله يكتب لنا الخير فيما نقدم عليه.

وذهبنا بعدها إلى المستشفي، وبدأنا اختبار جديد من الحياة مرة أخرى، مرحلة جديدة سنخوضها، تثبت مقدار حبي و عشقي لأميرتي.

كنت أشعر بالألم يخترق صدري؛ بمجرد لمحها تتألم وتحاول جاهدة في اخفائه عني، لكن مهما كان شده الألم، حبي لها كان هو الداعم الوحيد، وأثبتت إنها تتحدى أي ألم في العالم وأنا بجانبها، ومضت الأيام والشهور ومازالت التجربة مستمرة، وعندما قررت إنها مرتنا الأخيرة لتجربتنا ولكن أمر الله نافذ بقوله تعالي(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)

استدعانا الطبيب وبشرنا بنجاح الحقن، وأن أميرتي تحمل بأحشائها طفلين توأم، وحثها على الراحة الدائمة مع إرشادات طبية، لم تسعنا الأرض من فرط السعادة حينها، تركت عملها فترة الحمل حتى تتم الولادة على خير، ورزقت بأطفالي وأشرقت الحياة بمجيئهم إلينا، طلبت منها أن تعود للعمل وتكمل مسيراتها، لكنها أصرت أن تتفرغ لرعايتهما حتى يتمكن كل منهما الاعتماد على نفسه.

الحياة تمضي بحلوها ومرارتها، وقد علمت منذ فترة قليلة؛ خبر وأثر في بكل أسف أن الخطيب القديم يعَالج من العقم عند طبيب زميلاً لي، وأنه لم يرزق بأطفال، وأن الأمل في شفائه ضعيف جداً، سبحان الذي لا رادَ لقضائه ومن يعطي الفضل لمن يشاء.

شكرت ربي على حلمي الوردي، الذي مازال مستمر، وبالقرب مني يلهو

توأم جميلان جمال أمهما وفي غاية الشقاوة والجنون، التي اكتشفتها بها بعد الزواج.

وإلى جانبي تجلس أميرتي تقرأ إحدى المجلات العلمية بعين، وترقب طفلينا بالعين الأخرى لتلبى مطالبهما وتفصل بينهما في الوقت المناسب، وأنا اختلس كل لحظة لضمها بصدري، مرت على ذهني لمحة أوقفتني مسرعاً إلى إحدى إدراج مكتبي بحثت بجد عليها، فوجدت مذكرتي القديمة صديقتي الصدوق فتحت صفحة بيضاء، وبدأت أسرد قصتي فكرت كثيراً بعنوان يناسبها تبسمت ممسك بقلمي وخطيت فيها (صنعت لحبي حكاية)

***